

## المسيح والمجتمع الإنساني†

الأرشمندريت جورج كابسانيس\*

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

بقدر ما يتطهر الإنسان من أهوائه يكتسب إمكانية الشركة الحقيقية مع الله والبشر الآخرين. إن الذين ينظرون إلى الإنسان رومانسياً (عواطفياً) وخارجياً ينقلون الشر من الأفراد إلى المجتمع، ولهذا السبب يبشرون بأن تحسين المجتمع يؤدي أيضاً إلى تحسين الأفراد. لكن الأرثوذكسيين، دون إنكار أهمية التأثير الاجتماعي على الأشخاص، يعطون الأولوية لتحول الشخص بالتوبة والنعمة الإلهية. إنه لوهم كبير أن نرغب في تغيير المجتمع دون أن نجاهد لتغيير أنفسنا. إن الاعتقاد بأن تغيير بعض المؤسسات الاجتماعية سيحدث تغييراً في الناس دون توبة، هو اعتقاد ساذج على أقل تقدير. المرضى يصنعون مجتمعات مريضة والمجتمعات المريضة تجعل الناس أكثر مرضاً. إن علاج الأمراض الاجتماعية دون علاج الأمراض الشخصية هو انزياح في المشكلة، ورفض لقبول مسؤوليتنا الشخصية، وتهزّب من التوبة، وتأكيد على أنانيتنا وعدم رغبتنا في رؤية أنفسنا الحقيقية. يجدر بنا أن نأخذ في الاعتبار أن الرب جعل التوبة الشخصية شرطاً للمشاركة في ملكوته.

ولا ينبغي التغاضي عن عمل الشيطان في انحلال الأشخاص والمجتمعات وفي انتشار الشر. إن التبسيط الإنساني للمشاكل الاجتماعية ينكر وجود الشيطان. على العكس من ذلك، في الأناجيل كما في الخبرة المسيحية، يُكشّف مقدار الطاقات الشيطانية في الأشخاص والمواقف الاجتماعية، كما الحاجة إلى محاربة الشيطان لدرء الأرواح الشريرة وطردها. إن مهمة الرهبان المكزسين والعلمانيين المواهبين هي تمييز الأرواح، حتى لا يقع المسيحي في الفخ الذي نصبه الشرير عندما يظهر تحت ستار الخير.

لقد شدنا على قوة القوى المناهضة للإفخارستيا والمناهضة للمجتمع بهدف إظهار عدم استحالة التغلب عليها، بل ضرورة أن يأخذها المسيحي المجاهد في الاعتبار. لقد هزم المسيح هذه القوى، وبالتالي يمكن للمسيحي، بقوة المسيح ومؤازرة النعمة الإلهية، أن يشارك في انتصار المسيح هذا.

عند هذه النقطة، يختلف الجهاد الاجتماعي المسيحي اختلافاً جذرياً عن أي جهاد آخر. المجتمع الذي تريد النظم الإنسانية (المثالية والمادية) خلقه يتمحور حول الإنسان. محور المجتمع المسيحي هو الإله-الإنسان. لكن وسائل الإنسانيين هي أيضاً إنسانية. أما لدى المسيحي فهي إلهية-إنسانية. التواضع هو أساس المجتمع المسيحي، بينما أساس المجتمع الإنساني هو الكبرياء والاكتماء الذاتي واستبعاد الله. إن الأمر هو تكرار خطيئة آدم نفسها: السعي إلى التأله بدون الله.

ربما ليس من المصادفة أن كلا النظامين الإنسانيين (الرأسمالية والشيوعية) في تطبيقاتهما في الاقتصاد وُلدا في الغرب الهرطوقي، الذي أتى بعد المركزية البشرية الدينية المتمثلة بعصمة البابا والفيلوكفه (انبثاق الروح

القدس من الآب والابن: المترجم). فليفكر الأرثوذكسيون أو الأرثوذكس السابقون في هذا الأمر، إذ ينكرون تقليدنا الأرثوذكسي بشكل صارخ، عادةً عن جهل سعيًا إلى التمسك بالانظم الغربية. يتمتع المجتمع الإنساني غير المسيحي بطابع وحيد يسلب من هذا المجتمع إمكانية منح السلام لروح الإنسان، لأنه يترك الإنسان غير قابل للمصالحة مع أبيه السماوي، وبالتالي بلا مأوى. لتذكر كلمات القديس أوغسطينوس التي تعتبر عن الخبرة الأثروبولوجية: "لقد خلقنا لنفسك يا رب وقلوبنا لن ترتاح حتى تستريح فيك".

إن الأنظمة الاجتماعية الإلحادية تساعد على حل بعض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، ولكن ليس على تلاقي الله والإنسان بشكل حقيقي وأساسي. إنها لا تجيب بشكل مُرضٍ على أسئلتنا الوجودية وخاصة مشكلة الموت المركزية. إن العالم تتم تسويته بشكل جيد ليموت. على الرغم من أن هذه الأنظمة، وخاصة الماركسية، تتميز بمسيحانية [١] دنيوية شديدة، فإننا في الواقع لا "نتقل من الموت إلى الحياة"، وبالتالي فهي تخلق أناساً بائسين لا رجاء لهم. في الواقع، في بعض الأحيان يكون النشاط الإنساني المكثف، حتى التجاري منه، نتيجة جهد لتناسي مشكلتنا الأساسية، مشكلة الموت، وتحرير أنفسنا من القلق والفراغ والملل الذي يميز الحياة المنفصلة عن مصدرها، أي الله الثالث.

[١] المسيحية هي الإيمان بمجيء مسيح، أو حركة تقوم على هذا الإيمان، كالإيمان بقائد أو سبب أو أيديولوجية تكون مخلصاً أو منقذاً ( <https://www.dictionary.com/browse/messianism> )  
 † الإنساني (Humanistic) من الإنسانية (humanism). الإنسانية هي نظرة عقلانية أو نظام فكري يعلّق أهمية قصوى على ما هو بشري بدلاً مما هو إلهي أو خارقة للطبيعة (Oxford Languages).  
 \* الرئيس السابق لدير الغريغوريو في الجبل المقدس.

Source: Γέροντας Γεώργιος Καψάνης, Προηγούμενος Ι.Μ. Οσίου Γρηγορίου. Ο Χριστός και το κοινωνικό πρόβλημα. Pemptousia. 10 Οκτωβρίου 2017. <https://www.pemptousia.gr/2017/10/o-christos-ke-to-kinoniko-provlima/>